وقوله (ملة أبيكم إبراهيم) زيادة في التنويه بهذا الدين وتحضيض على الأخذ به بأنه اختص بأنه دين جاء به رسولان إبراهيم ومحمد A وهذا لم يستتب لدين آخر وهو معنى قول النبي A : " أنا دعوة أبي إبراهيم " أي بقوله (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم) . وإذ قد كان هذا هو المقصود فمحمل الكلام أن هذا الدين دين إبراهيم أي أن الإسلام احتوى على دين إبراهيم " E " . ومعلوم أن للإسلام أحكاما كثيرة ولكنه اشتمل على ما لم يشتمل عليه غيره من الشرائع الأخرى من دين إبراهيم جعل كأنه عين ملة إبراهيم فعلى هذا الاعتبار يكون انتصاب (ملة أبيكم إبراهيم) على الحال من (الدين) باعتبار أن الإسلام حوى ملة إبراهيم .

إليهم إبراهيم أبوة فإضافة A النبي صحبوا الذين إلى موجها الخطاب كان إن ثم A E باعتبار غالب الأمة لأن غالب الأمة يومئذ من العرب المضرية وأما الأنصار فإن نسبهم لا ينتمي إلى إبراهيم " E " لأنهم من العرب القحطانيين ؛ على أن أكثرهم كانت لإبراهيم عليهم ولادة من قبل الأمهات .

وإن كان الخطاب لعموم المسلمين كانت إضافة أبوة إبراهيم لهم على معنى التشبيه في الحرمة واستحقاق التعظيم كقوله تعالى (وأزواجه أمهاتهم) ولأنه أبو النبي محمد A ومحمد له مقام الأبوة للمسلمين وقد قرئ قوله تعالى (وأزواجه أمهاتهم) بزيادة وهو أبوهم .

ويجوز أن يكون الخطاب للنبي A على طريقة التعظيم كأنه قال : ملة أبيك إبراهيم .

والضمير في (هو سماكم المسلمين) عائد إلى الجلالة كضمير (هو اجتباكم) فتكون الجملة استئنافا ثانيا أي هو اجتباكم وخصكم بهذا الاسم الجليل فلم يعطه غيركم ولا يعود إلى إبراهيم .

و (قبل) إذا بني على الضم كان على تقدير مضاف إليه منوي بمعناه دون لفظه . والاسم الذي أضيف إليه (قبل) محذوف . وبني (قبل) على الضم إشعارا بالمضاف إليه . والتقدير : من قبل القرآن . والقرينة قوله (وفي هذا) أي وفي هذا القرآن .

والإشارة في قوله (وفي هذا) إلى القرآن كما في قوله تعالى (ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين) أي وسماكم المسلمين في القرآن . وذلك في نحو قوله (فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) وقوله (وأمرت لأن أكون أول المسلمين) .

واللام في قوله (ليكون الرسول شهيدا عليكم) يتعلق بقوله (اركعوا واسجدوا) أو بقوله (اجتباكم) أي ليكون الرسول أي محمد A شهيدا على الأمة الإسلامية بأنها آمنت به وتكون

الأمة الإسلامية شاهدة على الناس أي على الأمم بأن رسلهم بلغوهم الدعوة فكفر بهم الكافرون . ومن جملة الناس القوم الذين كفروا بمحمد A .

وقدمت شهادة الرسول للأمة هنا وقدمت شهادة الأمة في آية البقرة (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) ؛ لأن آية هذه السورة في مقام التنويه بالدين الذي جاء به الرسول . فالرسول هنا أسبق إلى الحضور فكان ذكر شهادته أهم وآية البقرة صدرت بالثناء على الأمة فكان ذكر شهادة الأمة أهم .

(فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا با هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير [78]) تفريع على جملة (هو اجتباكم) وما بعدها أي فاشكروا ا بالدوام على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والاعتصام با .

والاعتصام : افتعال من الصم . وهو المنع من الضر والنجاة قال تعالى (قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر ا) وقال النابغة : .

يظل من خوفه الملاح معتصما ... بالخيزرانة بعد الأين والنجد والمعنى : اجعلوا ا ملجأكم ومنجاكم .

وجملة (هو مولاكم) مستأنفة معللة للأمر بالاعتصام با لأن المولى يعتصم به ويرجع إليه لعظيم قدرته وبديع حكمته .

والمولى : السيد الذي يراعي صلاح عبده .

وفرع عليه إنشاء الثناء على ا بأنه أحسن مولى وأحسن نصير . أي نعم المدبر لشؤونكم ونعم الناصر لكم . ونصير : صيغة مبالغة في النصر . أي نعم المولى لكم ونعم النصير لكم . وأما الكافرون فلا يتولاهم تولي العناية ولا ينصرهم